

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا  
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ  
رواه مسلم

البناء العلمي

## البناء العلمي

### المرحلة الثانية

### الفصل الدراسي الأول

تفسير جزء تبارك

د. عبدالعزيز السدحان

## الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

### سورة الْمُزَّمِّلُ.



- هذه السُّورَةُ الكريمة، أي: سُورَةُ الْمُزَّمِّلُ، اشتهرت وَعُرِفَتْ بهذا، وسورة الْمُزَّمِّلُ سورة مكية، وعدد آياتها عشرون آية.
- وَرَدَ في فضل سورة الْمُزَّمِّلُ حديثٌ لا يَصِحُّ، وهو: "من قرأ سورة الْمُزَّمِّلُ، دفع الله عنه العسرى في الدنيا والآخرة"، وهذا الحديث لا يَصِحُّ سنده.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ \* فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.

- قيل إنَّ أصل الكلمة: يا أَيُّهَا الْمُتَزَمِّلُ، فأدغمت التاء في الميم، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] أصلها: المُتَدَثِّرُ، فأدغمت التاء في الدال.
- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ المُراد به النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم، المتزمل في ثيابه، وهنا ذكروا أنَّ الْمُزَّمِّلُ هو المدثر، وقال بعض أهل التفسير: إنَّ المُدَثِّرَ كانَ خِطَابًا له في أول النبوة، فَلَمَّا مَضَى فَتْرَةٌ، تَزَمَّلَ في ثيابه، فَخُوطِبَ بالقيام لصلاة الليل، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.
- وَهنا ذَكَرَ بعض أهل العلم كالسَّهيلي وغيره، أنَّ بَعْضَهُمْ جَعَلَ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم- الْمُزَّمِّلُ، وهذا خطأ، فالْمُزَّمِّلُ كانَ وَصْفًا مُؤَقَّتًا، مثل: المدثر، وقالوا: إنَّ النِّدَاءَ بِالْمُزَّمِّلِ والمدثر، كان في أول النبوة، ثُمَّ جَاءَتِ النِّدَاءَاتُ الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١].
- وقال البعض وهذا من اللطائف أيضًا: إنَّ لفظ الْمُزَّمِّلُ فيه عناية لَطِيفَةٌ بالنَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وقالوا في المثل: إِذَا نُودِيَ الشَّخْصُ بِحَالٍ كانَ عَلِمَها، دلَّ ذلك على مَحَبَّةِ الْمُتَنَادِي لِلْمُنَادَى، واللفظ به".

<sup>١</sup> قال الشوكاني رحمه الله: "رواه العقيلي عن أبي بن كعب مرفوعاً، قال ابن المبارك: أظن الزنادقة وضعته". وهذا الحديث بطوله ذكره ابن عدي في الكامل (٢٥٨٨/٧)، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (٢٢٧/١) والذهبي في ترتيب الموضوعات (٦٠) وغيرهم.

- ومن تدبر وجد أن هذا قد حَصَلَ لِمَا غَاظَبَ عَلِيَّ فَاطِمَةَ -رضي الله عنهما- فذهب عليٌّ وَنَامَ عَلَى التُّرَابِ، فقال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ»<sup>٢</sup>، يعني: قُمْ يَا أَبَا تراب، وفيه سقوط العتاب واللفظ والمحبة. وكذلك هذا مثل مَا قَالَه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»<sup>٣</sup>.
- ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا: إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل وعلى أصحابه، وخصَّه بعضهم بأنه كان من الخصائص النَّبَوِيَّةِ، واستمر -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقوم الليل حتى توفاه الله تعالى.
- ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيام الليل بجميع ساعاته فيه مَشَقَّةٌ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿نِصْفَهُ﴾ أي: نَصِيفُ الليل ﴿أَوْ انْقُصْ﴾ أي: انْقُصْ مِنَ النَّصْفِ قَلِيلًا، فيكون الثُّلُثُ، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ زد على النَّصْفِ، فيكون المجموع قُرَابَةُ الثُّلُثَيْنِ، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.
- قالوا إِنَّ الأَمْرَ بِقيام الليل في أول النَّبَوَةِ، والكثرة من الصَّلَاةِ والمناجاة فيه قوة، وفيه نوع من زيادة الثبات، والتلذذ بالمناجاة الإلهية، وهذا مما يعطي صاحبه قوة بدنية، وقوة معنوية، ولهذا تَرَى طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا كَانَ صَاحِبَ قِيَامٍ لَيْلٍ، وصاحب تلاوةٍ، وصاحب تحنُّثٍ، وللعبادة مكان من وقته لا تؤثر على دعوته، يكون أكثر نشاطًا مِنْ غَيْرِهِ.
- كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- يَقومون الليل، وكانوا لا يَعْلَمُونَ مقدار الوقت، فكانوا يَقومون مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ، حتى يُحْظُوا بما جاءت به الآيات، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، حتى جاء في بعض الروايات، أَنَّهُمْ قَامُوا ثمانية أشهر، وانتفخت أقدامهم مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، طَمَعًا فِي إدراك الوقت الذي ذكره الله تعالى. لعلنا نسمع المقطع مرة أخرى.
- قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَقْسَامٍ، وعند هذه الآية بالتَّحْدِيدِ ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، جاء أثرٌ عن عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- في تفسير البَغَوِيِّ، الأثر فيه ضعف يَسِيرٌ، لكنَّ الْمَعْنَى صحيحٌ، وله شواهد مِنْ أقوال الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، يقول: "لَا تَنْهَرُوهُ نَهْرَ الدَّقَلِ، وَلَا تَهْدُوهُ هَدَى الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ"<sup>٤</sup>

<sup>٢</sup> البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: "أَيْنَ ابْنُ عَمَّكِ؟" قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَعَاضَتَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟" فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ زَائِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِأْؤُهُ عَنْ شِقْوِهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ")

<sup>٣</sup> مسلم (٣٣٤٩) عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ حَذِيفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَذْكُرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتِلَتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حَذِيفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَعْدُ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَخْزَابِ، وَأَخَذْنَا رِيحَ شَدِيدَةٍ وَفُتْرٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: ثُمَّ يَا حَذِيفَةُ قَاتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بَدَأَ إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: أَذْهَبَ فَأَتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَدْعُزْهُمْ عَلَيَّ"، فَلَمَّا وَثِقَ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلَتْ كَأَنَّمَا أُمْشِي فِي حِمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَفْيَانَ يَضِلُّ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَيْدِ الْقَوْسِ فَأَزْدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَدْعُزْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصْبَحْتُ، فَرَبِحْتُ وَأَنَا أُمْشِي فِي مِثْلِ الْحِمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبِرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ فُرُوتَ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ"

<sup>٤</sup> رواه ابن أبي شيبة وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

- لا تَنْتَرُوهُ نَتْرَ الدَّقْلِ، أي: القرآن، وَلَا تَهْذُوهُ هَذَّ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ.
- وهناك أيضاً قراءة الهذرمة، الذي يخلط الحروف، وهذه مُستقبحة في قراءة كلام النَّاسِ، فكيف إن كانت في القرآن الكريم؟ لاشك أن هذا أَشْنَعُ وَأَقْبَحُ.
- وأما القراءة التي ذكرها الله، وأمر وَحَثَ عليها النَّبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام، فهي: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، ذكروا أن من معاني الترتيل: التنسيق، والتنضيد، والترتيب، وأيضاً إخراج الحروف من مخارجها، وعدم تداخل الحروف، وإبقاء المدود على طبيعتها، فقراءة القرآن بهذا النَّسق تجعل الإنسان يتدبر ويتأمل ويتفكر في ما يقرأ، ولهذا جاء الحثُّ على التَّدَبُّرِ ﴿لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وفي سورة القتال، أي: سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].
- الشَّاهد: أن قراءة القرآن على تدبر وترتيل وتأن أفضل من كثرة القراءة بلا تدبر.
- ولهذا ذُكر عن بعض الصحابة أظنه ابن عمر، أو غيره، -رضي الله عنهم جميعاً: لأن أقرأ آية بتدبر، أحبُّ إليَّ من قراءة ختمة بلا تدبر.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا \* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

- ﴿إِنَّا﴾ يعود لله تعالى، ضمير الجمع المفرد يدل على التَّعْظِيمِ، وقد وَرَدَ هذا اللفظ ﴿إِنَّا﴾ في غير موضع من القرآن الكريم، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥].
- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ما المراد بالقول الثقيل هنا ؟
- المراد بالقول الثقيل هو: القرآن الكريم.
- لماذا وُصف القرآن بالقول الثَّقِيل؟
- للمفسرين أقوال كُثُر في وصف القرآن بالثَّقِيل، وسأذكر أقوالاً.
- ❖ القول الأول: قيل: ثَقِيل في قُوَّة حُجَجِهِ، وَرَدِّهِ لِلْبَاطِلِ. وَقَوِي فِي حِكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وعلى اختلاف أحوال النَّاسِ، فَالْحُجَجُ الْقَوِيَّةُ بَاقِيَةٌ، تَرُدُّ عَلَى كُلِّ بَاطِلٍ، فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وعلى كل من تبناه من إنسان.

° قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فإنه جامع لجميع منازل السائرين.. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.. فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح، فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب ولهذا قال ابن مسعود: لا تحذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن هم أحدكم آخر السورة. وروى أبو أيوب عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث قال: لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كما تقرأ. اهـ.



❖ **القول الثاني:** قيل: ثَقِيلُ أَثْنَاءِ نُزُولِهِ عَلَى الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ: أَنََّّهُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، تَضَعُ عُنُقُهَا عَلَى الْأَرْضِ<sup>٦</sup>، أَوْ بِجِرَائِهَا مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ.

ولعلكم يذكر حديث زيد بن ثابت، لما قال: أنزل عليه -عليه السلام-، وكانت فخذُه على فخذي، حتى كادت فخذي أن ترض؛ من شدة الثَّقَلِ<sup>٧</sup>.

وكذلك أيضًا قول أُمِّنا عائشة -رضي الله عنها: إنه يُنزل عليه في اليوم شديد البروة، "وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"<sup>٨</sup> أي: من ثَقَلِ الْوَحْيِ. إذن الثَّقَلُ الحسي على بدنه -عليه الصَّلَاة والسلام.

❖ **القول الثالث:** قيل: ثَقِيلُ، أي: كريم، تقول: فلان ثَقِيلُ علي، أي: كريم عندي.

❖ **القول الرابع:** قيل: الثَّقِيلُ بمعنى عَظِيمِ الشَّأْنِ، ولهذا قالوا في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أََيَّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، لِعِظَمِ شَأْنِ الثَّقَلَيْنِ، الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

• ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا﴾، قيل: ناشئة الليل هي مُبتدأ الليل، وقيل: ساعة الليل إذا ابتدأت، كما يُقال نشأت السحابة، وكلمة ناشئة بلسان الحبشة.

• ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾، قراءة القرآن الكريم مَحْمُودَةٌ في كل وقت، لكن هناك أوقات يتأثر فيها الإنسان أكثر من أوقات أخرى، وأنت تلاحظ هذا الشيء، فإذا صليت في مكان فيه إزعاج وضوضاء، يختلف عن أن تصلي في مكان هادئ، أليس كذلك؟

لَوْ صَلَّيْتَ عَلَى سَجَادَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالزَّخَارِفِ، هَلِ الصَّلَاةُ عَلَى سَجَادَةٍ مَلِيئَةٍ بِالزَّخَارِفِ وَالْأَلْوَانِ تَخْتَلِفُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى السَّجَادَةِ السَّادَةِ؟

لا شكَّ، ولا ريب، ولهذا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما أعطوه الأنبجانية قال: «ذَكَرْتَنِي بِالْدُنْيَا»<sup>٩</sup>، كان فيها أعلام فقط، يعني: مثل الألوان.

• ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا﴾ ساعات الليل، وبخاصة الساعات الأخيرة، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: أشد موافقة، ﴿لِيُؤَاطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] ليوافقوا عدة ما حرم الله.

<sup>٦</sup> أخرج أحمد (٤١ / ٣٦٢) عن عائشة قالت: "إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجِرَائِهَا" زاد البيهقي في "دلائل النبوة" (٧ / ٥٣) قولها: "من ثقل ما يوحى إلى رسول الله".

<sup>٧</sup> أخرج البخاري (٢٦٧٧) عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: "... فَأُنْزِلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَجَدُّهُ عَلَى فَخْذِي فَتَقَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى جُفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخْذِي".

<sup>٨</sup> البخاري (٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا" وفي رواية مسلم (٢٣٣٣): "ثُمَّ تَقِيضُ جَبْهُهُ عَرَقًا". (يفصم): ينقطع. (يتفصد): يسيل.

قال الحافظ ابن حجر: وفي قولها في اليوم الشديد البرد دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية [فتح الباري: (٢١/١)].

<sup>٩</sup> روى البخاري (٣٧٣) ومسلم (٥٥٦) عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خُمَيْصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ فَتَنْظُرُ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: أَذْهَبُوا بِخُمَيْصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأَتُوبِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَهْنَتْهُ أَبْنَاءُ عَنْ صَلَاتِي " وَقَالَ هِشَامُ بْنُ غُرُوزٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَغْتَنِّي" والخميص: ثوب مخطط من حرير أو صوف.

والأعلام: نقوش وزخارف

والأنبجانية: كساء غليظ لا نقوش فيه ولا تطريز .

- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ على النفس، على الجوارح، على القلب، ﴿وَأَفْؤُمٌ قِيَالًا﴾، أكثر تعَقُّلاً وتدبُّراً لما يقرأه الإنسان، ولما يسمعه، ولهذا تلاحظ أنه في بعض التي تتحدث عن قيام الليل ككتاب محمد بن نصر المروزي، والذي اختصره المقرئزي: فيه آثار عن السلف، وكلمات لا يقولها إلا مَنْ تَلَدَّدَ بقيام الليل، ولا يَسْتَشعرها إلا مَنْ أَحَسَّ القراءة بقلبه، لهذا قالوا: وَطْئًا يَتَوَاطَأُ السَّمْعُ وَالْقَلْبُ، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَفْؤُمٌ قِيَالًا﴾.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا \* وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيَالًا﴾.

- إِنَّ العبادَةَ ومنها قراءة القرآن في وَقْتِ الليل أشد مواطأةً للقلب على ما يسمع، وليس معنى هذا أن هذا خاصٌّ بالليل، لكن الليل أكثر، ولهذا كانت أول فائدة في كتاب "الفوائد" لابن القيم، أَنَّهُ ذَكَرَ أمورًا، ثُمَّ ذَكَرَ آية سورة "ق": ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، أي: أمورًا لا بد منها.
- ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ لما ذَكَرَ أَمْرَ الليل، وَأَنَّ التِّلَاوَةَ والقراءة أشد تَوَاطُئًا، أو أشد موافقةً للسمع والحفظ على القلب، ذكر أخبار النَّار، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قضاء الأشغال، ﴿سَبْعًا﴾ قالوا: تتحرك، تذهب، وتقبل، وتدبر.
- ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾ سُميت السَّبَّاحَةُ بالسَّبَّاحَةِ؛ لكثرة حركة السَّابِح.
- ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تقضي فيه حوائجك.
- ﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيَالًا﴾ اذكر اسم ربك، ادع الله تعالى بأسمائه الحسنى، ونستفيد هنا أن الأسماء توقيفية، فما سَمَّى الله تعالى به نفسه يُسَمَّى به، وما سَمَّى النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- ربه يُسَمَّى به.
- ﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ادع بأسماء الله الحسنى، ولهذا قالوا: التوسل أنواع، أفضله: التوسل بأسماء الله تعالى، يا رحيم ارحمنا، يا رزاق ارزقنا.
- ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيَالًا﴾ التبتُّل: الانقطاع، ولهذا يُقال: مَرِيمُ البَتُول، وفي نسل الرسول -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- قال الناظم:

وليس في بناته من أنجبى إلا البتول طابت أما وأبا

ما المراد بالبتول هنا؟

البتول فاطمة -رضي الله عنها.

- سؤال: هنا قال: ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيَالًا﴾، وجاء في السُّنَّة النَّهْيُ عَنِ التَّبْتُئِلِ، حتى قال بعض المفسرين: جاء في القرآن الأمر بالتَّبْتُئِلِ: ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيَالًا﴾، وجاء في السُّنَّة النَّهْيُ عَنِ التَّبْتُئِلِ، فما الجمع بين هَذَا وَذَلِكَ؟
- مِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ تَعَارُضُ الْبَتَّةِ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، حتى قال ابن خزيمة: هاتوا لي حديثين مُتَعَارِضِينَ، يعني تحدِّ بثقة، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ما قال اختلافًا فقط، ﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

- فهنا التَّبَتُّلُ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، وفي السُّنَّةِ نَهَى عن التَّبَتُّلِ، فما الجواب؟ لو قال قائل: كيف نُهي عن التَّبَتُّلِ، وهنا يأمر به؟
- ✓ التَّبَتُّلُ المنهي عنه في السُّنَّةِ، هو التشبه بما عند بعض النَّصارى، ترك الزوج، والانقطاع عن النَّاسِ، والعزلة، وتضييع المصالح.
- ✓ والتَّبَتُّلُ المشروع: هو أن يجعل الإنسان من وقته تَفَرُّغًا للعبادة، ينقطع فيه للتَّعَبُدِ، ولا تتعطل فيه المصالح، مثل: الاعتكاف، متى يُسمى الاعتكاف تبتلاً يا شيخ سعد؟
- إذا اعتزل الإنسان في مُعتكفه، أي: انقطع عن النَّاسِ وتفرَّغ للعبادة، لكن هذا تبتُّل مشروع، ولهذا دائماً أيُّها الأكارم نعرف أنَّ مَا حَثَّ عليه الشَّرْعُ مِنَ الرُّهْدِ والكرم والتَّبَتُّلِ والتَّعَبُّدِ، إذا وافق أمور الشَّرْعِ، فهو مشروع، وإذا خالف فهو محذور ممنوع، مثل: الرُّهْدِ.
- التَّبَتُّلُ المشروع، التَّعَبُّدُ المشروع، وأما التَّبَتُّلُ الممنوع: هو الانقطاع عمَّا أوجب الله، وعلى المصالح، والتفَرُّغُ لعبادة غير مشروعة.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا \* وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

- في سورة الرحمن ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، والمراد مَشَارِقُ الشَّمْسِ ومغاربها، قيل: في الشتاء والصيف، وقيل: مشارق الكواكب، والمغارب لها.
- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ التوكل لا يكون إلا على الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وجاء التوكل في آياتٍ كثيرةٍ، فالتوكل عمل قلبي من أعمال القلوب، وأعمال القلوب هي الأصل، ويأتي بعدها أعمال الجوارح، وهما متلازمان، وأعمال القلوب أصل الأعمال، بل قال بعض أهل العلم كابن القيم: لا يُفَرِّقُ بين المسلم المؤمن الصَّادِقِ والمَنَافِقِ إلا بأعمال القلوب، فهم يُصَلُّونَ ويقرءون معاً، أليس كذلك؟ لكن ما في القلوب لا يعلمه إلا الله -عز وجل، ولهذا أعمال القلوب، مثل: الخشية والرجاء والتوكل والخوف، وهناك رسالة عظيمة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في أعمال القلوب، تسمى "التَّحْفَةُ الْعِرَاقِيَّةُ".
- ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ الصبر عبادة، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، والصَّبْرُ كما ذكره الله تعالى في سورة العصر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وجاء الصَّبْرُ في مواضع كثيرة.
- ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ اصبر على آذاهم، أنت الآن في مكة، وضعيف، ومن السَّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ عدم مُواجهة مَنْ هُوَ أقوى منك، ولهذا في سورة الزخرف: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف: ٨٩]، وفيه أيضاً غابت عن بالي بعض الآيات ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- في مكة كان يواجهه، وما كان له عليهم سلطان، وكان الكفار أقوى منه، وتكاتفوا عليه حساً ومعنى، والرسول -صلى الله عليه وسلم- أحكم الناس، وأعظم الناس، وأسرع الناس تأديَةً لما أمره به ربه ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.



أخذنا في درسٍ سابقٍ أنّ الله ذكر وصف الجميل لأشياء، منها: الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل.

الصبر الجميل: صبر بلا شكوى، والهجر الجميل: هجر بلا أذى، والصفح الجميل: صفح بلا عتاب. ولشيخ الإسلام ابن تيمية في ما أذكر، إمّا رسالة وإمّا جوابًا عن هذه المسألة.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا \* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا \* وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا \* يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾.

- ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا إذا أنت أتاكَ أحد يطلب منك نجدة، أو عاداك أحد، فأتاكَ شخص فقال: أنا أساعدك عليه، أو قال: افعل كذا لتتغلب عليه، هذه الصيغة الثانية، أنا أساعدك عليه، افعل كذا لتتغلب عليه، أو قال: ذره لي، أنا أكفيك إياه، أيهما أبلغ في النصرة؟ أقوى دَرْنِي، كأنه يقول: دعك عنه وشأنه، لا تُشغل بالك به، أنا أكفيك إياه.
- ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ المعاندين الذين كابروا وعاندوا واتهموك.
- ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ النعمة، والنِّعمة، والنُّعمة.
- النُّعمة: التَّنْعُم، والنِّعمة: الإِنعام، والنُّعمة بالضم: المسرة.
- ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ مهما طال عمرهم فهو قليل بالنسبة لما سيلقون في الآخرة من العذاب الطويل،
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ الأنكال: الأغلال، وقيل: القيود، أو هذا التعريف أشهر، ﴿أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾.
- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ جاء وصف الطعام في غير آية، طعام أصحاب النار، أحد يذكر آية، أو آيات فيها وصف لطعام أهل النار؟ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦].
- غسلين، وكذلك الضريع، وهذه الأطعمة يقولون: صعبة، لا تخرج ولا تدخل، إذا -عفا الله وإياكم- أكلوها تبقى معلقة، فيتعذبون بعدم إخراجها مع قُبْحها، وبعدم دخولها مع قُبْحها.
- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا \* يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ الرجفة اهتزاز، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].
- الأرض جاء لها في القرآن الكريم عند قيام الساعة أوصاف: الزَّلْزَلَة، والرجفة، والجبال جاء لها أيضًا أوصاف، قيل: ترتجف الجبال، فتكون كثيبًا مَّهِيلًا، كالرَّمْل، إذا أخذت منه يتساقط، ثم بعد ذلك ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا \* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا \* وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا \* يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾.

- الطعام كما تقدّم ذَا غُصَّةٍ، والغصّة قد تقتل الإنسان، ولهذا ذكر الفقهاء إذا كان يأكل، ثم غصّ في طعامه، وليس عنده أمامه إلا شراب محرّم، سيموت، يعرف من نفسه، فهنا رُخِّصَ له، دليل على شدّة الغصّة، وعلى أثرها على الشخص، هذا والغصّة خطيرة، وكانت في طعام لذيذ، فكيف إذا كانت الغصّة في طعام قبيح، في

طعام لا تستسيغه النفوس، ولا تستمرؤه البطون، ومع ذلك بقي هذا الطعام في حلوقهم، لم يدخل، ولم يخرج.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾.

- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ ذكر المثال من الأمم السابقة؛ حتى نعتبر، وأن الإنسان بعد رحمة الله لا ينفعه إلا عمله الصالح، ومن قبلنا فيهم التجار، وفيهم الفقراء، وفيهم الوجهاء، وفيهم الضعفاء، وهلم جرا، أجناس مختلفة في كل عصر، فجاءهم رسول، وجاءنا رسول، بلغوا رسالات ربهم، ونصحوا أممهم حق النصح، ومحضوهم حق النصح، وكانت العاقبة لمن أطاع الظفر، ولمن عصى الخسران، ولا يظلم ربك أحدًا.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾.

- رأس الأمة، رأس القوم، ومع ذلك عاند، ولم ينفعه جاهه، ولا حسبه، ولا منصبه.
- فإذا قرأ الإنسان مثل هذا، عرف أن الله تعالى عدل، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله.
- ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾ أخذاً شديداً، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر: ٤٢]، التعبير بالأخذ في مقام العقوبة، دليل على شدة العقوبة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا \* السَّمَاءُ مَنقُطَرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا \* إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي يوم هذا؟ طبعاً معروف، يوم القيامة. يحصل للناس أحوال في يوم القيامة، يصعب أن تكون في الدنيا، مهما بلغ الحال بهم، يعني أشياء فطرية في النفس، أشياء جبليّة في النفس، في الدنيا عند المسلمين وغير المسلمين، لكن في الآخرة تتغير تلك الأشياء الفطرية الجبليّة، مثل ماذا؟ مطلع سورة الحج: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]، الآن في الدنيا، المرضعة التي معها الطفل، الأم، ما يمكن تغفل، إلا في شيء شديد، لكن في القيامة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، ثم: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: ٢].

- جاء في الحديث أن الثعبان ذو.. يُلقِي يُعْمِي البصر، ويسقط الحمل من الرُّعب شكله، فيوم القيامة لاحظ مواقف فيها صعوبة، ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، وهنا: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، في آية لقمان: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

- فالشاهد كما في الآية: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، يشيب، غلمان ما جاءهم الشيب، لكن من شدة الهول.
- بعده: ﴿السَّمَاءُ مَنقُطَرٌ بِهِ﴾ جاءت الآية في أحد يذكر في وصف السماء عند قيام الساعة، جاءت آيات أو سور؟ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وهنا ذكر ﴿السَّمَاءُ



﴿مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ تنشق هذه السماء العظيمة الارتفاع الشاهقة السمكية، كذلك ﴿وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٧]، فهذا من علامات، أو أن هذه الأمور العظيمة، تلك السنن الكونية تتغير عند قيام الساعة.

• ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ هذا القرآن الكريم، وما سبق من آيات، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، يعني الإنسان الآن عنده الطريق، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، النجدان: طريق الخير والشر، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

يعني بيّن الله الحجة والمحجة وأقام السبيل، وبيّن الطريق، وليس لأحد حجة.

• ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ \* وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١٠، ١١]، إذن الذكري قد تنفع أناسًا، وقد لا تنفع آخرين، طيب لو قال قائل: ما أثار نفع الذكرى لصاحبها؟ أختصر لكم الطريق، فيه آية في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا \* وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا \* وَلَهْدَيْنَاهُم صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦- ٦٨]، واحدة تكفي فضل وفخر، فكيف بها مجتمعة.

• ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، طريق الرضا، وطريق طاعة الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمٌ أَن لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

• ذكر بعض أهل التفسير أن هذه الآية فيها التخفيف من الله تعالى، على ما كان في أول السورة، حتى قال بعضهم: أن بين أول السورة وآخرها وقت، قدره بعضهم بسنة، وقدره بعضهم بأقل أو أكثر.

• وهنا ذكر الله تعالى أنهم لن يستطيعوا القيام بما كُلفوا به، فخفف عنهم، ورحمهم، وعذر من كان له عذر، مثل المريض، ومن يذهب يضرب في الأرض يبتغي تجارة، ومثل من يجاهد في سبيل الله، حتى قال بعضهم: في هذه الكلمة ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ علامة من علامات النبوة، كيف ذلك؟ قال: لأن السورة في أول الأمر، وأخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه في الجهاد سيسقط عنهم القيام؛ لاشتغالهم بالجهاد، فهذه علامة من علامات النبوة، وهذا من فضل الله أن المعذور عن الطاعة إذا تركها مع رغبته فيها، لكن منعه مانع، فإن الأجر يجري عليه. أحد منكم يذكر دليلاً في أن الأجر يجري على صاحب الطاعة إذا منعه مانع من غير رغبة، أو لعذر شرعي؟

حديث أنس: «إن في المدينة لرجالاً، ما قطعتم وادياً، إلا شاركوكم في الأجر». ومثله حديث أبي موسى الأشعري: قال -صلى الله عليه وسلم-: «إذا مرض العبد وسافر، كتب له ما كان يعمل صحياً مقيماً».

- هنا سؤال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ السورة مكية، والزكاة متى فرضت؟ في المدينة، قالوا هنا: ما بالزكاة الصدقة، وقيل: إنها فرضت إجمالاً، وجاء تفصيل الأنصبة في مكة، وأيضاً قالوا هنا أيضاً من ضمن الآية: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ لو كان يسيراً، عند الله أعظم أجراً. ثم حثُّ على الاستغفار، والاستغفار تقدّم الكلام عنه. عفواً، فيه نقطة نسيها، أنا أخطأ في تفسير ﴿الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩] قلت: إذا كن يطرن يصعب مسكهن.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

